روجير بيكون ومكانته في تاريخ الفكر الاوروبي

د. سامان حسين احمد
جامعة رابرين/سكول العلوم الانسانية

الملخص

يعد (روجير بيكون Roger Bacon 1214-1292) واحدا من ابرز رجال العلم والفكر الذين برز نور نتاجاتهم في القرن الثالث عشر فقد شق هذا المفكر طريقه في حيز العمل الفكري والعلمي والفلسفي بجدارة، اذ كان لآرائه تاثيراً واسعا في تاريخ الفكر الاوروبي وكان من الذين انشغلوا في كيفية النهوض بالعقل الاوروبي، وتجاوز المجتمع الاوروبي في عصره عبر معالجات اصيلة ونقدية لكثير من طروحات علمية وفلسفية ومحاولة تصحيح مسار الفهم في قضايا الاشكالية في الفكر والعلم في عصره، حيث أثر افكاره واعماله كبيراً في تطور سير التاريخ الفكر الاوروبي من العصور الوسطى الى العصور الحديثة.

ومن هنا سعى هذا البحث الى تسليط الضوء على تأثير اعمال بيكون على تطور الفكر الاوروبي وذلك من خلال تحديد تأثيره على العلم والفكر والفلسفة وكذلك سبق افكاره لافكار بعض الحركات التاريخية في العصور الحديثة.

ولد بيكون في إنجلترا وتلقى علومه في اكسفورد وباريس ونال دكتورا في اللاهوت ،كان من اكثر المولعين بالعلم والمعرفة في عصره وله اعمال وآثار علمية وفكرية وفلسفية كثيرة،حيث بحث فيها المشاكل والطروحات الفلسفية والفكرية فى عصره ،وكان لآرائه دور في تاريخ الفكر الاوروبي وإنتقال من العصور الوسيطة الى العصور الحديثة، فمن الناحية العلمية يعد بيكون من اوآئل الاوروبيين الذين دعو الى الاعتماد على التجربة والابتعاد عن التخمين والتأمل وكان هذا ارهاصا كبيرا للعلوم الحديثة ،فضلا عن اعماله الكبيرة في مجالات علمية واختراعاته العلمية وتنبأته في تلك المجالات.

تجاوز بيكون الاطار الفكري والفلسفي في العصور الوسطى وكان من الذين وجه نقدا لاذعا لتفكير الفلسفي في عصره وبادر بآراء فلسفية التي اصبحت فيما بعد اساسا للمبادئ الفلسفية الكبرى في العصور الحديثة. كذلك سبق افكاره واعماله حركتا النهضة والاصلاح الديني بما قاما به بعد مئات سنوات من نقد افكار الكنيسة والقرون الوسطى والدعوة الى العودة الى المصادر اليونانية وبدايات المسيحية.

من ناحية اخرى كان لاعماله تأثيرا كبيرا في تطور تاريخ حركة الاستشراق حيث اشارة في اعماله الى الركائز الاساسية التي وقفت عليها الاستشراق في العصور الحديثة فضلا عن دوره في تغيير الرؤية العدائية للاوروبيين في العصور الوسطى تجاه الشرق والاسلام.

المقدمة

كان بيكون أريباً طلعة ذو اهتمامات عامة، اكثر اطلاعاً من معاصريه وزملائه وقد لمع في تاريخ الفكر الاوروبي واصبح قيمة اعماله وآثاره موضع اخذٍ و ردٍ شديدين، فهناك من يبالغ في قيمة مالم يفعله ومن يحط من شأن ما فعله، لكن مع هذا كله فانه من احد رجال عصره الذي بلغ مرتبةً رفيعة وفي اعماله شئ من الجرأة خاصة ماقام به من حملة عنيفة على الجهل وانتقاد العلم والفكر والحياة الديني في عصره واشاد الى معالم وارهاصات العصر الحديث.

ان ماقام به بيكون في كتاباته اشبه بما يكون بضياء ساطع يخطف ابصار في ضلمة ليل حالك، حيث ترك افكاره اثر كبير في تاريخ فكر الاوروبي في مرحلة انتقاله من العصور الوسيطة الى العصور الحديثة.

من هنا فيتناول دراستنا مدى تأثير فكر واعمال روجير بيكون على مختلف مفاصل الفكر الاوروبي، وفيها قمنا بتقسيم تلك الاثار الى نواحي متعددة خاصة الاحداث التاريخية المهمة في فترة عبورها من العصور الوسطى الى العصور الحديثة، وقد بدأنا دراستنا بعد الاشارة الى حياته واعماله بالبحث في مدى تأثير اعماله على العلم والمنهج العلمي في تلك الفترة وبعدها يتطرق البحث الى دراسة ماقام به بيكون في مجال الفلسفة وكيفية تأثيره على المسار العقلي والفكر الفلسفي لعصره. اما بعد هذا يتناول الدراسة اعمال روجير بيكون وتأثيراتها في حركة النهضة الاوروبية وحركة الاصلاح الديني كونهما اهم حركتين تاريخيتين في انتقال فكر الاوروبي. اما المبحث الاخير فانه حول مكانة بيكون في الدراسات الاستشراقية ويبحث فيه ماقام به من اعمال كان لها دور في تطور الاستشراق وتغيير نظرة الغربيين تجاه الشرق وخاصة الاسلام.

المبحث الاول: حياته واعماله

١- حياته

على رغم من ان المعلومات حول تفاصيل تاريخ حياته وشخصيته ضئيلة الى حدٍما، حيث لم يتطرق المصادر التاريخية بشكل دقيق الى تلك التفاصيل، ولكن من المعروف انه ولد من عائلة ثرية في انجلترا، على مايبدو في سنة ١٢١٤م، وتلقى منذ طفولته ثقافة جيدة وتعلم في جامعة أكسفورد على ايدي أكابر اساتذة ومفكري عصره وحصل فيها على الارجح على شهادة ماجستير[١]، بعد ذلك بعد ان أصبح لديه ميل للنزعة التجريبية، اتجه في سنة ١٢٤٥م الى باريس وحصل فيها على شهادة دكتورا في اللاهوت، واخذ يعمل في جامعة باريس وألقى فيها محاضرات حول فلسفة ارسطوطاليس، لكن ترك هذه المدينة عندما لم يعجبه إنشغال وسطها بالجدل الميتافيزيقي والذي اعتبره عديم الجدوى من الناحية العلمية. فقصد جنوب ايطاليا لدراسة الطب واللغتيين اليونانية والعربية فوجد هناك الكثير من المصادر والكتب اليونانية والعربية في الطب والطبيعة والكيمياء والفلسفة، وانكب على دراستها والتأثر بها اعمق التأثير[٢].

رجع بيكون في نهايات العقد الرابع من قرن الثالث عشر الى جامعة أكسفورد وبدأ يبدي اهتماماً كبيراً بالعلوم الرياضية والفلك والكيمياء وانكب على دراسة علوم القدماء اليونانيين ودرسة آثار العلماء والفلاسفة المسلمين واصبح اشهر اساتدة أكسفورد في عصره[٣]. بعد ذلك التحق بيكون في سنة ١٢٥٧م بطائفة الرهبان الفرنسيسكاني الا انه استمر في اعماله الفكرية والعلمية وبقي مطلعا على العلوم ومولعا بالفلسفة لذا طلب منه البابا (كليمنت ٧) الذي كان صديقا شخصيا له ان يرسل اليه وبشكل سري وعاجل مؤلفاته واعماله، فأرسل له بيكون عن طريق احد كاردينالات كتابه المسمى (الكتاب الكبير)، وبعده بسنة أرسل له كتابه (الكتاب الصغير) حيث يبحث فيها المنطق والرياضيات والفيزياء والفلسفة وغيرها من المواضيع العلمية وبعدها في سنة ١٢٦٨م ارسل له ملخصا عن افكاره وطروحاته[٤].

رغم كل هذه الشهرة والمجهودات العلمية والفكرية لبيكون الا إن نقده لفكر عصره وحملته على الكنيسة ورجال العلم، ادّى الى محاكمته في باريس سنة ١٢٧٨م حيث اتهم بأنه ينكر المعجزات وانه حليف الشيطان لذا امر بسجنه لمدة عشر سنوات[٥].

توفي بيكون على مايبدو في سنة ١٢٩٢م وذلك قبل ان ينهي عمله الاخير وتحت العنوان (موجز دراسة اللاهوت) ودفن في الكنيسة الفرنسيسكانية في اكسفورد[٦].

٢- اعماله

كان روجير بيكون من الشخصيات الطليعية في عصره وأحد أكثر مولعين بالعلم والمعرفة حتى انه كتب في أحد نصوصه سنة ١٢٦٧م انه انفق اموالا طائلة في شراء الكتب والالات والوسائل الفلكية خلال عشرين سنة التي امضاه في دراسة الفكر، هذا بالاضافة الى انه قد استأجرة يهودا ليعلموه لغتهم العبرية وليعاونه على قراءة التوراة بلغتها الاصلية[٧]، وكتب خلال حياته العلمية مؤلفات كثيرة التي صنف فيها رسائل في النحو والمنطق والرياضيات والعلوم التجريبية والزراعة واللاهوت وغيرها من النواحي العلمية ونشر الكثير منهم.

بدأ بيكون باعماله منذ بدايات العقد الرابع من القرن الثالث عشر حيث ألف عن الطب والعلاج في العصور الوسطى واكد فيها على علم الصحة والغذاء وبعدها كتب مؤلفه حول السحر والطبيعة[8]. كتب روجير بيكون في خمسينات القرن الثالث عشر عدة مؤلفات منها (مبادئ الفلسفة العلمية)، (مبادئ الكبرى لعلم الرياضيات)، وكذلك كتب حول التقويم، وفي الستينات أرسل تلك المؤلفات الى بابا كما سبق واشرنا الى ذلك. بالاضافة الى كتابه المسمى بـ(رسائل في العدسات المحرقة) وفي طاقة الاختراع والطبيعة العجيبة وفي تقدير الحوادث الطبيعية وموجز للدراسات الفلسفية وموجز الدراسات اللاهوتية، فضلا عن ترجماته لبعض اعمال العربية[9]

عالج بيكون في اعماله نواحي من العلوم الرياضية والفلكية والجغرافية والبصريات والتنجيم واكد على اهمية التجربة في العلوم الطبيعية، كذلك بحث في مسائل فكرية وفلسفية في عصره وناقش العوائق التي تعترض العقل والفكر الصحيحين والجهل العام واهمية العودة الى الانجيل الاصلي، فضلا عن انه انتقد وبشكل لاذع رجال العلم والفلسفة في عصره وكذلك إنتقد رجال الدين والرهبنة والبلاط الكنسي[10]

المبحث الثاني: مكانة بيكون في العلم.

شهدت اوروبا آواخر العصور الوسطى تطورات كبيرة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وبدأت الزارعة والتجارة ينتعش وظهرت عدة مدن مستقلة أو شبه مستقلة في تلك الفترة، مما أثرت هذه التطورات بدورها على الناحية الفكرية والعلمية ايضاً حيث بدأ الفكر والعقل الاوروبي تستعد للانتعاش وارتفع المستوى التعليمي وانتشر بشكل اوسع مابين العلمانيين وارتفع مستوى رجال الدين ايضا وظهرة الجامعات واخذ تتطور يوما بعد يوم.

هذا وفضلا عن تأثر الاوروبيون في تلك الفترة وخاصة بعد الحروب الصليبية بتراث الاسلامي وادت حركة الترجمة التي شهدتها تلك الفترة الى تعرف الاوروبيون على الفكر والعلوم الاسلامية بشكل أوسع وشرعوا ينهلون من منابعه المختلفة، كذلك عاد الاوروبيون في تلك الفترة الى فلسفتهم وخاصة الارسطوطاليسية وتأثروا بأبحاث قدامى علمائهم في الكيمياء والفلك والعلوم الاخرى وبدأت الابحاث العلمية التي كانت جزءاً من التراث الاسلامي بالانتشار في كل المكان. حيث ادت كل هذا بتوسيع آفاق الاوروبيون وظهرت محاولات التحديث وتسأولات ومناقشات في المسائل الجوهرية، هذا فضلا عن إنها ادت برجال العلم والدين الى مراجعة جهودهم في العلوم الطبيعية والتجريبية.

عاش بيكون في تلك الفترة وكان من الذين لهم إطلاع واسع على التراث الاسلامي وخاصة العلمية والفلسفية منها حيث تأثر باعمال الفارابي والرازي وابن سينا وغيرهم[1]، هذا فضلا عن انه كما اشير اليه سابقا تعلم في جامعة أكسفورد، حيث كان رجال هذه الجامعة منذ تأسيسها على علم بمحتوى الكتب العلمية المترجمة من اللغة العربية وكان لديهم ميول الى الجوانب العلمية التجريبية، خاصة منهم روبرت جروستست (١١٧٥-١٢٥٣م) الذي وضع أسس الاتجاه العلمي الرياضي التجريبي في هذه الجامعة وترك أثراً عميقا على تلميذه روجير بيكون١٢.

ادت هذا كله ببيكون الى اصرار على الحاجة الى التجربة والمراقبة والاثبات المباشر ودعى الى ضرورة العلم ومعرفة العالم الذي من حوله، حيث دعى في احد نصوصه الى الابتعاد عن المذاهب الاعتقادية وسلطات المتحكمة حيث قال: "كفوا عن ان تحكمكم المذاهب الاعتقادية وسلطات المتحكمة، وانظروا الى عالمكم"١٣، من هنا يبدوا بأن بيكون كان من اوائل العلماء الاوروبيون في العصور الوسطى الذين تحس فيهم روح العلمية هذا بالاضافة الى انه كان يؤكد كثيرا على العلوم التجريبية واهميته في العلوم الطبيعية حيث قال في هذا صدد: "ان جميع العلوم ما عدا هذا العلم-يقصد التجريبي- اما انها تستعمل الجدل للاستنتاج النتائج مثل العلوم النظرية واما انها هي نفسها استنتاجات عامة ناقصة، والعلم التجريبي وحده يحقق الى درجة الكمال وصحة مايمكن الطبيعة أو الفنون أو الخداع عمله، فهو وحده يعلمنا كيف نقف على غباوات السحرة كما يعلمنا المنطق كيف تميز بين صحيح والخطأ من الجدل"١٤

هكذا فان بيكون يؤكد على ضرورة التجربة اعتقادا منه بان التأمل وحده لايكفي، لكن مع ذلك كله، نقول بان عمله كان محدودا، ولا نستطيع ان نشدد على انه اخترع المنهج العلمي، انه وضع اساسه بشكل واضح، وان ما قام به في هذا المضمار مرتبط كل الارتباط بالحركة العلمية التي شارك فيها كل من (فرانسيس بيكون) و(غاليلو) وغيرهم من علماء والفلاسفة العصور الحديثة١٥. اي ان بيكون اشار الى ذلك المنهج العلمي الحديث الذي جاء بها هؤلاء العلماء والفلاسفة قبلهم بكثير وانه من ناحية الاخرى سبق افكار عصر النهضة والعصور الحديثة بأشادته بالتجربة العلمية وفائدتها في تقدم العلوم الحقيقية.

بالاضافة الى اشادته بالمنهج العلمي فان بيكون قد ولع بالعلوم الرياضيات والفلك والكيمياء وانكب على دراسة علوم القدماء المبثوثة في الكتب وكان نتيجة دراساته تلك انه قام باختراعات واعمال مهمة من الناحية العلمية.

فينسب اليه اعمال علمية كثيرة منها في الكيمياء، فمع انه كان اعماله سطحية وثانوية في هذا المجال انه قدم دراسات جيدة في التحليل والتركيب والتبخر والتقطير والاحتكاك وانه قسم الكيمياء الى التأملي والعلمي، كذلك له دراسات عن انكسار الضوء وفي العدسات والقوس القزح والمرايا المقعرة وكذلك اصلح التقويم الشمسي الذي كان معمولا به، وله دراسات في الطب والصحة الغذاء١٦.

كذلك له نظرات مدهشة في اختراعات علمية والالات حيث اخترع الة مايكروسكوب ومادة لاتشتعل في الماء ونوع من البارود وايضا يسر الى امكان التوصل الى مصابيح تضيء بغير وقود وحمامات ساخنة بغير نار وآلات رافعة لأكبر أثقال ومفرقعات تبيد الجيوش دون الحاجة الى اللاتحام بالسيوف١٧.

بالاضافة الى هذا تكهن بيكون باكتشاف آلات واجهزة عظيمة في مجالات عدة فيقول في هذا صدد: "في الامكان وجود آلات تمخر البحر دون مجداف يحركها ومن ثم فان السفن الكبيرة اللائقة للنهر أو المحيط التي يقودها رجل واحد، ربما سارة بسرعة اكبر مما لو كان مليئة بالرجال وكذلك يمكن صنع العربات بحيث يمكن تحريكها دون احتياج الى دوالب

البحر، وهي صورة التي نتصورها للعربات ذات المناجل التي كان القدماء يحاربون فوقها، ثم ان في الامكان وجود الات طائرة، يستطيع الرجل ان يجلس في وسطها ويدير شيئ تخفق به اجنحة صناعية في الهواء على منوار اجنحة الطير"١٨. هكذا فانه تنبأ بإيجاد سفن كبيرة وكذلك عربات الكبيرة وطائرات قبل ايجادها بقرون عديدة وبهذا كان آرائه في العلوم الطبيعية واختراعات كان ارهاصا بالنهضة العلمية التي شهدتها اوروبا في القرون المقبلة ولذا فلقب (بالانسان المعجيزة).

المبحث الثالث: بيكون والفلسفة

اصبح التفكير الاوروبي وذكاءه مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي اشير اليه في المبحث السابق يشعر بشيء من الحرية وبدأ العقل بصراعه مع الايمان أو النقل، فبعد أن كان العقل والفلسفة في العصور الوسطى محبوسة داخل سياج الايمان ويقتصر التجوال بين مضاهيمه، مغلقا عليه داخل اسوار عقيدية كاثوليكية، بدأة مع تلك التطورات بمحاولاته لتؤكد كيانها ويبدأ بخطواتها نحو التحرر، حيث ظهرت هذه المحاولات منذ القرن الحادي عشر وتطور اكثر فأكثر حتى أن اقبل القرن الثالث عشر وبدى ميدان العقل اكثر تحديدا ويواكب قدما مع تطورات العصر وتأثيرات افكار ارسطوطاليسية والتراث الاسلامي في الفكر الغربي حيث ظهرت تيارات وأفكار عديد في الفلسفة.

كانت احد روافد هذه الافكار ظهور الفلسفة الطبيعية والتي مثلها روجير بيكون حيث اخذ وتحت تأثير استاذه جروستست يجمع بين الافلاطونية الحديثة وبين الفكر العلمي الرياضي. كان الرياضيات عند بيكون اساس العلوم، ويعتقد بأن المادة العلمية تأتي عن الحواس والتجربة١٩، هكذا بدأة الفلسفة الطبيعية تسير صوب الفكر التجريبي أو المنطق الرياضي الخالص حيث كان لاعمال بيكون أثرا كبيرا فيها.

فضلا عن هذا ظهرت بدايات الاولى لفلسفة الاخلاق عند روجير بيكون حيث يرى بأن الاخلاق تأتي لتنير العقل في فهم الحقيقة لهذا وضع الامكانيات الهائلة للعلوم الطبيعية تحت اشراف المبادئ الاخلاقية حتى لاتجلب الدمار والويلات للانسانية٢٠.

وفي مشكلة الكليات اعطى بيكون الأولوية للفردي على الشامل والجزئي على الكلي٢١، وفي مايخص بالعقل الفعال وعلاقته بالروح الفردية فأنه اعتنق مذهب ابن رشد فأعتبرهما شيئين مختليفين في طبيعتهما٢٢.

اما بالنسبة لموقفه من الفلسفة الارسطية فبالرغم من اعجاب بيكون بأرسطو الا انه لم يكن من تيار ارسطي العام وانما كما اشير اليه انه كان من تيار التجريبي. هذا بالاضافة الى ان بيكون لم يوافق فكر والفلسفة في عصره فانه انتقد اعمال الفكرية والفلسفية في عصره بشكل العام وهاجم رجال الدين ورجال العلم وانتقد علاقة الفلسفة باللاهوت في تلك الفترة وكذلك انتقد تفاسير في العصور الوسطى وفهمهم للكتاب المقدس ولم يكون راضيا على تلك الثقة المطلقة التي كان يبدي لمقولات مدرسين الاوائل، فوجه انتقادا لاذعا للجهل العام بالعلوم٢٣.

المبحث الرابع: اشاد بيكون بالنهضة

في الحقيقة ان حركة النهضة التي شهدتها أوروبا منذ اواخر القرن الرابع عشر لم يكن وليدة الصدفة وليست هي حركة مفاجئة، بل كانت الافكار التي ظهرت استمرارا لتطور افكار القرون السابقة وجاءت نتيجة طبيعية لنمو حرية العقل الانسان وكسره لقيود القرون الوسطى.

كان افكار واعمال بيكون من الروافد المهمة في مسيرة تلك التطور المستمر وفيها البذور الاولى لهذه الحركة التاريخية، حيث ان بيكون في كثير من اعماله اشاد أو دعى الى النهضة بشكل ضمني، فكما اشير اليه سابقا كان اعماله العلمية واصراره على التجربة العلمية ودوره في تطوير الفلسفة العلمية سبق لعصر النهضة في افكارها، فضلا عن انه ساهم في استمرار سير الفكر الاوروبي نحو النهضة وكان اعماله له دور كبير في نشر التراث الشرقي في اوروبا وخاصة الاسلامي وهو من اوائل الاوروبيين الذين دعو الى دراسة اللغات الشرقية في جامعات الاوروبية وأكد على ضرورة الاستفادة من التراث الاسلامي وكان من اكثر المطلعين على هذا التراث٢٤ وكان تأثيرات التراث الشرقي في الفكر الغربي احد اهم اسباب ظهور النهضة كما أكد عليه المصادر التاريخية.

من ناحية الاخرى يعد بيكون من اوائل الذين اشادوا بالنهضة بحد ذاتها، فبما أن النهضة بشكل العام في مضمونها هي نقد افكار القروسطية ودعوه الى احياء المصادر اللاتينية القديمة، فان بيكون قد سبق رجال النهضة في هذا المجال، حيث ان بيكون كما أشير اليه سابقا قد وجه نقدا لاذعا للفكر القروسطي وهاجم رجال العلم والدين والكنيسة وانتقد اسلوب المدرسين في فهم الفلسفة وكذلك هاجمة كيفية فهمهم للكتاب المقدس وانتقد الكنيسة والاديرة والرهبان بشكل العام. هكذا فانه سبق رجال النهضة في انتقاد افكار قرون الوسطى.

ومن ناحية اخرى فان بيكون قد سبق رجال النهضة في مطالبة الاوروبيين للرجوع الى المصادر اللاتينية القديمة ايضاً فانه اشار الى ذلك بشكل الواضح فيقول في احد نصوصه في هذا المضمار: "لو كان لي السلطان على كتب ارسطو المترجمة الى اللاتينية لامرت احراقها جميعا واحالتها رمادا، فليس من وراء دراستها سوى تضييع الوقت فضلا عن انها مصدر اخطاء ووسيلة لنشر الجهالة بين الناس ولما كانت كتابات ارسطو اساس كل فلسفة فان احد لايستطيع ان يقدر الخسارة التي لحقة بالغرب منذ عني فلاسفتها بدراسة هذه الترجمة المغلوطة"٢٥ هكذا فانه يدعو الى ابتعاد عن المصادر المترجمة من اللغة العربية وبعدها يشير الى دراسة هذه المصادر في لغتها الاصلية اليونانية ويقول بما ان الذين يعرفون اليونانية موجودون في اوروبا حيث يشير الى اليهود والمسلمين والآراميين وكذلك يقول في فرنسا ايضا هناك رجال يعرفون ماهو مطلوب لسد هذه الحاجة ويشير الى ان اللغة اليونانية تتفق اتفاقا خاصا مع اللاتينية وفي كل من انجلترا وفرنسا رجال كثيرون يعرفون اليونانية تمام المعرفة وكذلك يدعو الى تأسيس اقسام لدراسة اللغة اليونانية٢٦

بالاضافة الى النهضة نرى في آراء روجير بيكون بوادر حركة تاريخية اخرى التي شهدتها اوروبا وهي حركة الاصلاح الديني التي بدأت باعمال (مارتن لوثر) سنة ١٥١٧ واستمرت احداثها مايقارب قرنا ونصف من تاريخ اوروبا، فكان من الافكار الاساسية لهذه الحركة هي نقد رجال الدين وحياتهم في العصور الوسطى ودعوى الى العودة الى المصادر المسيحية الاولية واصلاح الحياة الديني ونقد الكنيسة والبلاط البابوي٢٧، فنرى ان تلك الافكار نفسه قد سبق ان ذكره بيكون قبل ثلاثة قرون، فانه كما أشير اليه سابقاً نقد رجال الدين ورهبنة وكذلك اتهم البلاط الكنسي بالفساد والرهبان

بالفجور واشار الى الاخطاء الموجود في الكتاب المقدس الكاثوليكي والاخطاء في التفسير الالهي للكتاب المقدس ودعى الى العودة الى المصادر المسيحية اللاتينية الاصيلة.

المبحث الخامس: مكانة بيكون في دراسات الاستشراقية

الاستشراق من الحركات التاريخية الاخرى التي اثرت فيها روجير بيكون واعماله، فالمعروف ان الاستشراق حركة فكرية معرفية يعبر عن نظرة الغرب تجاه الشرق عبرة تاريخ العلاقات بين الطرفين، وان هذه النظرة وكيفيتها تتغير حسب نوع العلاقات وزمنها.

من الواضح ان نظرة الغرب تجاه الشرق في المراحل الاولى من العصور الوسطى حيث تغلب المسيحية على الفكر الاوروبي، كانت نظرة عقيدية ايدولوجية معادية للشرق وخاصة الاسلام، وازدادة هذه الرؤية مع الحروب الاصليبية والاتصال المباشر بين الشرق والغرب وخاصة لدى العلماء المسيحيين. الا ان بعد انتهاء الحروب الصليبية احس الغرب انه في حاجة ماسة لمقارنة بين عقيدته والاسلام الذي هزمه في الحرب، لذا فبعد فشل الغرب عسكريا بدءوا بالتفكير بالتبشير الديني، واستلزم هذا التبشير على الاوروبيين تطوير دراسات الشرقية وخاصة دراسات الاسلامية لتكون عونا وسندا لاهدافهم. هكذا فمع انتهاء الحروب الصليبية بدءة محاولات الغرب تزداد اكثر فاكثر لمعرفة شرق من الناحية الفكرية والاجتماعية والتاريخية و...الخ٢٨.

كما هو معروف فان بيكون عاش في اواخر الحروب الصليبية وكان من الذين بادروا في هذه المجال أي محاولة معرفة الشرق من النحاية الفكرية اذ انه كان من اوائل العلماء المسيحيين الاوروبيين الذين دعوا الى معرفة الشرق ودراسته فهو كما اشر اليه سابقا شجع اهل الغرب على تدريس اللغات الشرقية في الجامعات ولاغراض علمية صرفة، وكان احد اكثر المطلعين على التراث الاسلامي واشاد الى انه قد استفاد من الكتب واعمال علماء المسلمين امثال الرازي وابن الهيثم وابن رشد والفارابي وتأثر بهم اعمق تأثير٢٩

فبيكون من اوائل الاوروبيون الذين اعترفوا بالهزيمة العسكرية في الحروب الصليبية حيث يقول: لقد كانت الحروب المقدسة عديمة الجدوى وعديمة النجاح. ويشير الى التبشير والتعرض الى المسلمين فيقول حتى لو حققت انتصارات عسكرية على الارض لضلت عديمة الجدوى، فلم يكن ممكنا ولا في الوسع احتلال الارض كلها وان المسيحية لن تنتشر وتنتصر بغير التبشير السلبي والموعظة الحسنة٣٠. هكذا فان بيكون من اوائل الذين ادركوا بضرورة التعرف على الشرق وخاصة الاسلام بعد ان لم يقدر الاوروبيين على الانتصار العسكري ومن هنا يدعوا الى احد مراحل تطور الدراسات الاستشراقية الا وهي التبشير التي طغت على العلاقات بين الشرق والغرب في اواخر العصور الوسطى.

بالاضافة الى هذا فان بيكون على الارجح قد زعم تغييرات متعددة الابعاد والتي طرأت على طبيعة العلاقة الفكرية بين الاسلام والغرب الاوروبي منذ منتصف قرن الثالث عشر فالمعروف ان الافكار الاسلامية وخاصة بعد حركة الترجمة وكذلك اعمالهم وتقاليدهم الفلسفية في متناول الاوروبيين في تلك الفترة واهتم بها الكثيرون وكان لهذا اثره في توسع تطلع الاوروبيين على الحضارة الشرقية، فقد شكل هذا الاسناد الى تقاليد فلسفية واحدة او متقاربة بين الشرق والغرب، فالمعروف بدأ بيكون اعماله في تلك الفترة حيث كانت تلك الاعمال والتقاليد الفلسفية الاسلامية ومصطلحاته متداولة ومعروفة في اللاهوت اللاتينية لذا كان علاقته بالاسلام ذات طبيعة فلسفية بالدرجة الاولى وانه كان من المتأثيرين

بالتقاليد الفلسفة الاسلامي وهذا أدن الى ان يكن صورة بيكون عن الاسلام مختلفة عن صورته الموروث لدى السابقين له، فانهم ذهبوا الى ان الاسلام دين سلبي في التاريخ كله، فهو قد حال دون اعتناق الناس للمسيحية وهو امارة لظهور المسيح الدجال وقيام القيامة[٣١] اما بيكون فقد رأى خلافا لهم ان الحركة الاسلامية ذات دور غير تخريبي في العالم وليست امارة للدجال أو القيامة ولها وظيفة تقوم بها قبل نهاية الكون. ورأى في الاسلام دينا ذا صلة وثيقة بالفلسفة[٣٢] هكذا فان اعماله على الاسلام يختلف عن سابقيه في هذا المجال وانه على مايبدوا اثرت على رحالة والعلماء الذين كتب على الاسلام في مابعد[٣٣] وكانت آراءه تلك بدايات للتغييرات الذي بدأة تطرأ على رؤية الغرب الى الشرق في فترة النهضة والعصور الحديثة.

الى جانب هذا كله فإن بيكون عندما يدعوا الى التبشير قد دعى الى ركائز ووسائل التي قام عليها الاستشراق فالعصور المقبلة حيث انه يشير الى تلك الركائز بشكل واضح فهو يقول بأن المسيحية عاجز عن التبشير وذلك لاسباب ثلاثة، الاول لان لااحد يعرف لغات الشعوب التي يراد التبشير بينها والثاني لايعرف عقائدهم وفي النهاية لااحد يملك حججا مؤسسة على المعرفة لدعوى الغير المسيحيين للتبشير[٣٤]. هكذا فانه يدعوا الاوروبيين الى محاولة تعلم اللغات الشرقية وهي العملية التي اصبحت فيما بعد احد اهم وسائل استشراق لفترة تاريخية لاتقل عن اربعة قرون حيث فتحت كراسي واقسام في مختلف جامعات الدول الغربية للغات الشرقية ودراستها. هذا فضلا عن انه يشير الى معرفة عقائد الشرقيين والتي اصحبت بدورها ايضا الجزء الاكبر من الدراسات الاستشراقية في قرون المقبلة حيث ان الاوروبيين ابدوا اهتماما كبيرا في القرون الحديثة بدراسة العقائد الشرقية الجم اضافة الى هذا فانه يدعوا الى حجج مؤسسة على المعرفة والتي هي الاستشراق بحد ذاتها. كذلك اكد بيكون على ضرورة انشاء علم جديد مختص بمعرفة اشكال الكفر وتحليلها والوصول الى اصولها وعللها واستمرارها[٣٥]، حيث من المعروف تلك هي القواعد الاساسية التي قامت الاستشراق عليها.

الاستنتاج

في نهاية بحثنا هذا وصلنا الى عدت استنتاجات، منها ان بيكون كان من ابرز شخصيات عصره ورود بافكاره تأثيرا واضحا على سير الحركات التاريخية في نهايات العصور الوسطى، وفي اعماله وافكاره بذور اولية لافكار ومبادئ التي راجت في العصور الحديثة من التاريخ الاوروبي. فهو سبق حركة النهضة والعصر الحديث في اشاد باهمية التجربة والعلوم الطبيعية وكذلك كان في افكاره ارهاصات واضحة لفترة النهضة وحركة الاصلاح الديني كما اثرت افكاره في هدم فكر وفلسفة العصور الوسطى ووضع بدايات لاساس الفكر والفلسفة الحديثة، هذا بالاضافة الى تأثير اعماله وافكاره في تطور حركة الاستشراق وتغيير الرؤية الغربية تجاه الشرق.

الهوامش

[١] Encyclopedia Britannica, vol.2, 15th Edition, 1974, p,309; Roger Bacon and the Scientific Method, www.charte.net

١. [١] عبده فراج، معالم الفكر الفلسفي في عصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٣٣؛ Franciscan Schools of thought, www.ofm/fra/fratho03.html

٢. [١] نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الاول، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ص١٢٠؛ محسن محمد حسين (الدكتور)، الاستشراق بالرؤية الشرقية، دار الوراق، بيروت، ٢٠١١، ص٩٧؛ Great Theosophists, Theosophy, vol.26, no.2, December, 1937, pp.50-56, www.wisdomworld.org

٣. [١] نجيب العقيقي، المصدر السابق، ص١٢٠؛ عبدالمنعم الحفني، موسوعة الفلسفة، الجزء الاول، ص٣٧٠؛ Roger Bacon from Wikipedia.org.

٤. [١] محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص٩٨؛ Great Theosophists, op.cit,pp.50-56.
5. [1] Encyclopedia International, vol.2, p.309; Britannica Encyclopedia, op.cit, p.568.
٦. [١] محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص٩٧؛ Great Theosophists, op.cit,pp.50-56
7. [1] Literary Encyclopedia, Roger Bacon, in: www.litencyc.com
٨. [١] حول اعمال روجير بيكون انظر: نجيب العقيقي، المصدر السابق، ص١٢١؛ حسن حنفي (الدكتور)، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٥٧.
٩. [١] انظر: عبده فراج، المصدر السابق، ص٢٣٦؛ Catholic Encyclopedia Roger Bacon, www.newadrent.org; The Cambridge History of English and American Literate in 18 Volumes, vol.1, www.bartkeby.com
١٠. [١] انظر: محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص٩٧-٩٨؛ عبده فراج، المصدر السابق، ص٢٣٣-٢٣٤؛ Great Theosophists, op.cit,pp.50-56.
١١. [١] حسن حنفي، المصدر السابق، ص١٥٣-١٥٧.
١٢. [١] هـ. ج. ويلز، موجز تاريخ العالم، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٤٣.
١٣. [١] سلامه موسى، حرية الفكر وابطالها في التاريخ، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩، ص١٣٩.
١٤. [١] عبدالرحمن البدوي، فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٩٤.
١٥. [١] انظر: عبده فراج، المصدر السابق، ص٢٣٥؛ Edmund Brehm, Roger Bacon place in History of Alchemy, www.levity.com
١٦. [١] انظر: عبده فراج، المصدر السابق، ص٢٥٣.
١٧. [١] هـ. ج. ويلز، المصدر السابق، ص٢٤٣.
١٨. [١] حسن حنفي، المصدر السابق، ص١٥٧؛ محمد الخطيب، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٩٥.
١٩. [١] عبده فراج، المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٦؛ حسن حنفي، المصدر السابق، ص١٥٧.
٢٠. [١] حسن حنفي، المصدر السابق، ص١٥٧.
٢١. [١] عبده فراج، المصدر السابق، ص٢٣٤-٢٣٥.
٢٢. [١] عبده فراج، المصدر السابق، ص٢٣٦؛ Catholic Encyclopedia Roger Bacon, www.newadrent.org؛ The Cambridge History of English and American Literate in 18 Volumes, vol.1, www.bartkeby.com
٢٣. [١] انظر: محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص٩٧؛ محمد الخطيب، المصدر السابق، ص١٩٥.
٢٤. [١] امين مرسي قنديل ومحمد مصطفى زيادة، تراث العصور الوسطى، مجموعة بحوث باشراف ج. كرامب و أ. جاكوب، الجزء الاول، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٥، ص٣٨٥.
٢٥. [١] المصدر نفسه، ص٣٨٥-٣٨٦.
٢٦. [١] للمزيد من المعلومات انظر: محمد محمد صالح (الدكتور)، تاريخ اوروبا من عصر النهظة وحتى الثورة الفرنسية (١٥٠٠-١٧٨٩)، من مطبوعات جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص١٨٠-٢٣٢.
٢٧. [١] للمزيد من المعلومات انظر: احمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ص٨٨-٩٠.
٢٨. [١] محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص٩٧.
٢٩. [١] المصدر نفسه، ص٩٩-١٠١.
٣٠. [١] ريتشادر سودرن، صورة الاسلام في اوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد (الدكتور)، الطبعة الثانية، دار المدار الاسلامي، بدون سنة طبع، ص٩٨-١٠٠.
٣١. [١] المصدر نفسه، ص١٠٠-١٠٣.
٣٢. [١] للمزيد من المعلومات في هذا المجال انظر: المصدر نفسه، ص١٠٣-١٠٩.
٣٣. [١] المصدر نفسه، ص١٠١.
٣٤. [١] المصدر نفسه، ص١٠٢-١٠٣

المصادر

اولا: الكتب والمراجع

١. **احمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.**
٢. **امين مرسي قنديل ومحمد مصطفى زيادة، تراث العصور الوسطى، مجموعة بحوث باشراف ج. كرامب و أ. جاكوب، الجزء الاول، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٥.**
٣. **حسن حنفي (الدكتور)، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦.**
٤. **ريتشادر سودرن، صورة الاسلام في اوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد (الدكتور)، الطبعة الثانية، دار المدار الاسلامي، بدون سنة طبع.**

٥. سلامه موسى، حرية الفكر وابطالها في التاريخ، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩.
٦. عبدالرحمن البدوي، فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢.
٧. عبدالمنعم الحفني، موسوعة الفلسفة، الجزء الاول.
٨. عبده فراج، معالم الفكر الفلسفي في عصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩.
٩. محمد الخطيب، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٦.
١٠. محمد محمد صالح (الدكتور)، تاريخ اوروبا من عصر النهظة وحتى الثورة الفرنسية (١٥٠٠-١٧٨٩)، من مطبوعات جامعة بغداد، ١٩٨٢.
١١. محسن محمد حسين (الدكتور)، الاستشراق بالرؤية الشرقية، دار الوراق، بيروت، ٢٠١١.
١٢. نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء الاول، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.
١٣. هـ. ج. ويلز، موجز تاريخ العام، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

ثانيا: موسوعات

14. Encyclopedia Britannica, vol.2, 15th Edition, 1974.
15. Encyclopedia International, vol.2.

ثالثا: مصادر اللاكترونية (الانترنيت)

16. The Cambridge History of English and American Literate in 18 Volumes, vol.1, www.bartkeby.com.
17. Catholic Encyclopedia Roger Bacon, www.newadrent.org.
18. Edmund Brehm, Roger Bacon place in History of Alchemy, www.levity.com
19. Franciscan Schools of thought, www.ofm/fra/fratho03.html
20. Great Theosophists, Theosophy, vol.26, no.2, December, 1937, www.wisdomworld.org.
21. Literary Encyclopedia, Roger Bacon, in: www.litencyc.com.
22. Roger Bacon and the Scientific Method, www.charte.net.
23. Roger Bacon from Wikipedia.org.

Abstract

Roger Bacon (1214-1292) was one of the most prominent figures as a scientist and thinker, who emerged during thirteen century. As an English scholar, he was able to work in the realm of the work of thought, scientific and philosophical merits. Besides, he had left great impact on history of European thinking of his time, he was a scholar who wanted to provoke European mind and society by his professional works and critics. It can be confirmed that his works had influential impact on Middle Ages and European history of thinking until nineteen century. Therefore, this research sheds a light on the impact of Bacon's work in the evolution of European thoughts, via indicating its impact on science, knowledge, and philosophy in addition to the ideas of some of the historical movements in modern times .

Accordingly, Bacon exceeded the philosophical frame of mind in the Middle Ages and was the face of those who were sharply critical for the philosophical thinking of his day and initiated the philosophical views that later became the basis for the major philosophical

principles in modern times. Furthermore, with his ideas and religious reforms, he criticized the philosophical thoughts of his time and then his critical notions became the main principles for some philosophical believes. Such as criticizing the ideas of the Church and the Middle Ages besides the so called return to the Greek and Christian resources. On the other hand, his works also had impact on the history of Orientalism movement. Eventually, his attempts in changing the vision of European hostilities in the Middle Ages towards East and Islam